وقد توصلت به الملاحدة الى التشكيك في الشرع وحاشاه فقد نزهه الله الشرع والنبي عما
يدخل في امره لبس وانما السحر مرض من الامراض وعارض من العلل يجوز عليه
كانواع الامراض مما لا ينكر ولا يقدح في نبوته واما انه كان يخيل اليه انه فعل الشيء
ولا يفعله فليس في هذا ما يدخل عليه داخلة في شيء من تبليغه او شريعته او يقدح
في صدقه لقيام الدليل والاجماع على عصمته من هذا وانما هذا فيما يجوز طروه عليه في امر
دنياه التي لم يبعث بسببها ولا فضل من اجلها وهو فيها عرضة للافات كسائر البشر
فغير بعيد ان يخيل اليه من امورها ما لا حقيقة له ثم ينجلي عنه كما كان وايضا فقد
فسر هذا الفصل الحديث الاخر قوله حتى يخيل اليه انه ياتي اهله ولا ياتيهن
وقد قال سفيان وهذا اشد ما يكون من السحر ولم يات في خبر منها انه نقل عنه
في ذلك قول بخلاف ما كان اخبر انه فعله ولم يفعله وانما كانت خواطر وتخييلات
وقد قيل ان المراد بالحديث انه كان يتخيل الشيء انه فعله وما فعله لكنه تخييل
لا يعتقد صحته فتكون اعتقاداته كلها على السداد واقواله على الصحة قال القاضي
هذا ما وقفت عليه لائمتنا من الاجوبة عن هذا الحديث مع ما اوضحناه من معنى
كلامهم وزدناه بيانا من تلويحاتهم وكل وجه منها مقنع لكنه قد ظهر في الحديث تاويل
اجلى وابعد من مطاعن ذوي الاضاليل يستفاد من نفس الحديث وهو ان
عبد الرزاق قد روى هذا الحديث عن ابن المسيب وعروة بن الزبير وقال فيه عنهما
سحر يهود بني زريق رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوه في بئر حتى كاد
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينكر بصره ثم دله الله على ما صنعوا فاستخرجه من البئر
وذكر عن عطاء الخراساني عن يحيى بن يعمر حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
عائشة سنة فبينا هو نائم اتاه ملكان فقعد احدهما عند راسه والاخر عند رجليه
الحديث قال عبد الرزاق حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عائشة خاصة
سنة حتى انكر بصره وروى محمد بن سعد عن ابن عباس مرض رسول الله
صلى الله عليه وسلم فحبس عن النساء والطعام والشراب فهبط عليه ملكان وذكر القصة
فقد استبان لك من مضمون هذه الروايات ان السحر انما تسلط على ظاهره
وجوارحه لا على قلبه واعتقاده وعقله وانه انما اثر في بصره وحبسه عن وطء
نسائه وطعامه واضعف جسمه وامرضه ويكون معنى قوله يخيل اليه انه
ياتي اهله ولا ياتيهن اي يظهر له من نشاطه ومتقدم عادته القدرة على اتيان
النساء فاذا دنا منهن اصابته اخذة السحر فلم يقدر على اتيانهن كما يعتري من اخذ
واعترض ولعله لمثل هذا اشار سفيان بقوله وهذا اشد ما يكون من السحر ويكون
قول عائشة في الرواية الاخرى انه ليخيل اليه انه فعل الشيء وما فعله من باب ما اختل
من بصره كما ذكر في الحديث فيظن انه راى شخصا من بعض ازواجه او شاهد فعلا

ولم يكن

٢٢٨

ولم يكن على ما يخيل اليه لما اصابه في بصره وضعف نظره لا لشيء طرا عليه في ميزه واذا
كان هكذا لم يكن فيما ذكر من اصابة السحر له وتاثيره فيه ما يدخل لبسا ولا يجد به
الملحد المعترض انسا وهكذا ايضا عن يعقوب من بكائه على يوسف ولم يكن
عمى لانتباعه وبلاء ايوب في جسمه انما كان حدهما الوقوف مع الظاهر من الجسد
من غير استيلاء على القلب ولا زمانه ولا استبشاع ولا تشويه للصورة ولاجل هذا
امتنع عليهم صلى الله وسلم عليهم العمى والجنون والجذام والبرص واما الاغماء فالحق
انه ان نزل بهم مدة ظاهر حواسهم من غير استيلاء على اللب ولا القلب قال النووي
لا شك في جوازه فانه مرض والمرض يجوز عليهم بخلاف الجنون فانه نقص وفي
الصحيح اطلاق الاغماء عليه صلى الله عليه وسلم في مرض موته قال ابن حجر في الحد
جواز الاغماء على الانبيا كما مر لكن قيده الشيخ ابو حامد من ائمتنا بغير الطويل وجزم به
البلقيني قال السبكي وليس كاغماء غيرهم لانه انما يستر حواسهم الظاهرة دون قلوبهم
لانها اذا عصمت من النوم الاخف فالاغماء اولى اما الجنون فيمتنع عليهم قليله
وكثيره لانه نقص والحق السبكي به العمى قال ولم يعم نبي قط وما ذكر من شعيب انه
كان ضريرا فلم يثبت واما يعقوب فحصلت له غشاوة وزالت انتهى وحكى الرازي
ان جمع في يعقوب ما يوافقه فان قلت فهل يجوز عليهم تسلط الشيطان
عليهم كالبشر قلت اعلم ان الامة مجمعة على عصمة الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم
اجمعين من الشيطان وكفايتهم منه فلا يسلط عليهم لا في اجسامهم بانواع الاذى ولا على
خواطرهم وقلوبهم بالوساوس وقد روي فاسلم من قوله صلى الله عليه وسلم ما منكم من
احد الا وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا واياك يا رسول الله قال واياي
لكن الله تعالى اعانني عليه فاسلم زاد عنه عن منصور فلا يامرني الا بخير قال ما مني
من الاسلام مسندا للضمير القريب وبالمضارع مسندا لضميره صلى الله عليه وسلم وصححها
بعضهم ورجحها على الاولى واذا كان هذا حكم القرين المسلط على بني ادم فكيف بمن بعد
بعيد منهم ولم يلزم صحبتهم ولا اقدر على الدنو منهم وقد جاءت الاثار بتصدي الشياطين
له في غير موطن رغبة في اطفاء نوره واماتة نفسه وادخال شغل عليه حين يئسوا
من اغوائه فانقلبوا خاسرين كتعرضه له في صلاته فاخذه النبي صلى الله عليه وسلم
واسره واراد ربطه في سارية المسجد حتى يصبح صبيان المدينة يلعبون به ثم تذكر قول
اخيه سليمان رب هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي فتادب وتركه فرده الله
خاسئا وقد طلبه عدو الله ابليس بشهاب من نار يجعله في وجهه عليه الصلاة
والسلام في الصلاة وكذا عفريت طلبه ليلة الاسرا بشعلة من نار فتعوذ بالله منهم
فردهم خاسئين خاسرين وما لم يقدر ابليس على اذاه بمباشرته تسبب بالتوسط
الى عداوة قريش في الايتمار بقتله صلى الله عليه وسلم وتصور في صورة الشيخ النجدي

Copyright © King Saud University